# عصر الإرهاب الدولى والجريمة السياسية!

محمود عبد المنعم مراد

**المصور**

**لم نعد نعيش فى عصر الفضاء ، أو عصر الالكترونيات ، أو عصر البترول ، أو عصر الجن والعفاريت ، ولكننا أصبحنا بحق ، نعيش فى عصر الإرهاب الدولى ، والجريمة السياسة ! فما يمر صباح أو مساء حتى تطالعنا وسائل الإعلام بحادثة احتجاز رهائن ، أو نسف سفارة ، أو مصرع شخصية سياسية ، فى كل أنحاء العالم ، الأول والثانى والثالث ، حتى تكاد تصبح هذه الظاهرة مسألة عابرة لا يقف عندها المفكرون ولا يقيمون لها وزنا أو حسابا . فهل أصبح القتل والاختيال والتعذيب والابتزاز ، والعدوان العلنى على حياة الناس وممتلكاتهم ، أمرا عاديا ، وسمة من سمات العصر الجديد ؟**

● الملك حسين

● سادات

كيف يمكن أن يقوم توازن بين هذا التقدم العلمى المتطلع إلى القمر والمريخ والزهرة ، وهذا التأخر الأخلاقى الذى يرد الناس إلى عصور الظلام الأولى ؟ كيف يمكن أن تسيل دماء الناس ، وتشيب جباههم على هذه الأرض ، بكل هذه البساطة وهذا الاستهتار المذهل ، مع أن الحياة الانسانية هى أغلى ما فى الوجود ، وقداسة الانسان وأمنه هى الأمل المنشود ؟ هل جن جنون العالم ؟

ان الرهائن الأمريكيين محتجزون فى إيران منذ عدة أشهر . وعدد من السفراء قالوا محتجزين فى بوجوتا منذ أسابيع . ثم اقتحم عدد من الإيرانيين سفارة بلدهم فى لندن وقتلوا محتجزون خلال عشرين رهينة ستة أيام ، إلى أن استطاع البوليس البريطانى اقتحام السفارة وتخليص الرهائن ، بعد أن سقط عدد من القتلى واحترقت دار السفارة .

وفى مختلف عواصم العالم ، تتوالى الأنباء عن مصرع عديد من البشر ، المعارضين لبعض الحكومات أو الهيئات السياسية ، بل إن بعض الدول تثير رعاياها المعارضين لها بالقتل ، صراحة دون مواربة ، ولا تكتفى بالانذار ، بل تنفذ وعيدها فعلا ، وما حدث للرعايا الليبيين فى الأسابيع الماضية غير خاف على أحد . وقد اضطرت بريطانيا وأمريكا إلى اتخاذ اجراءات دبلوماسية مع الحكومة الليبية من جراء هذا التهديد العلنى بمعارضة قتل معارضيها الذين يعيشون فى الخارج . فهل تحولت الحكومات نفسها إلى عصابات قتل وإرهاب ، ولم تعد القوانين تعنى شيئا ، ولم يعد للأخلاق وجود ، ولم يعد للمجتمع الدولى حرمة تصان ، وأصبحنا نعيش فى غابة يتربص فيها كل أحد بأخيه ، دون اعتبار لأى قانون أو عرف إنسانى متعارف عليه . . .

ومن دواعى الأسف أن العنف يولد مزيدا من العنف ، والعدوان ينتج مزيدا من الانتظام ، وهكذا تسيل الدماء فيضا وبحارا . وإذا كانت دولة كبرى تعتدى على حارة صغرى عالة ألف جندى مدجج بأحدث أسلحة القتل والدمار ، غير عابئة بالاحتجاج الدولى وعبارات الاستنكار ، فما الذى يمنع باقى الدول من أن يعتدى بعضها على حدود بعض ، وما الذى يحول بين الحكام المستبدين وبين قتل رعاياهم . إن عدوى العدوان ميكروب سريع الانتشار ، وإذا وقف العالم المتحضر مكتوف اليدين أمام عدوان دولة كبرى ، فسوف يقف مشلولا عاجزا ساكتا أمام العدوان على الأشخاص واحتجاز الأبرياء كرهائن . وقبل الخصوم فى وضح النهار ، علانية على مشهد ومسمع من المجتمع الدولى بأسره .

ان عالم اليوم يسوده الخوف ، دولة من دولة أو أشخاص ، وأشخاص من دولة أو أشخاص ، ويتوالد الخوف وينمو فى الظلام وأنظمة الاستبداد ، ولا بديل من الخوف إلا حرية الرأى ، حرية المجتمع الدولى وسلامة الأمن المستمر ، وحرية الأوطان وحرية الأفراد داخل بلادهم . فليكن شعار الإنسان الآن فى كل مكان ، هو الحرية ، ليتحقق السلام ، ويستمر الأمن ، وتنتفى الحاجة قدما إلى الأمام !

## مفاوضات الحكم الذاتى

القارىء الوعد العديد لانباء مفاوضات الحكم الذاتى . وحتى كتابة هذه السطور ، لا يوجد فى الأفق ما يجعل المرء يتفاءل بالوصول إلى نتيجة مرضية . فاسرائيل لا تزال تتمسك بوجهة نظرها الخاصة ، وهى فى أبسط الكلام وأوضحه ، تريد الأرض باسم الأمن . بينما ترى مصر أن الأمن والأرض متعارضان . فالأمن يجئ بالسلام ، والسلام يجئ بأن يأخذ كل ذى حق حقه .

والموقف فى القمة العربية مفتوح . وأمريكا ، رغم تأكيداتها المستمرة باهتمامها المتواصل بحل قضية الشرق الأوسط ، فإنها فى واقع الأمر اصبحت مشغولة بالانتخابات ، وبمواجهة الروس ومشكلة إيران ، بالإضافة إلى مشكلة الطاقة والمشكلات الاقتصادية والداخلية الأخرى .

والفلسطينيون ، أصحاب القضية ، لا يريدون حلا ، انما هم يتذوقون حلاوة الوضع الراهن ، بالعمل من ضياع الأرض والنهاك الحق ، فهم يساكنون الذين يعيشون فى خيام اللاجئين ، أو يمارسون الحياة الشاقة فى الأرض المحتلة . ولولئك وهؤلاء ، لا حول لهم ولا طول ، بل هم مساقون وراء ذوى الغرض من أبطال الأحاديث الثنائية أمام مكبرات الصوت . والدول العربية الأخرى المواجهة لإسرائيل ، تتفاضى يدها من الأمر ، فسوريا راضية عن اغتصاب الجولان ، وليبان تحتل باجزء السوريين ، مستسلم على نفسه أشد القسام ، محتل الأوضاع فى الجنوب والوسط والشمال . والملك حسين لا يبدى حراكا ، لأن الضفة الغربية خرجت من بين يديه ، فلماذا يشغل باله . والعرب الآخرون يتفرجون حائرين أو شامتين أو حائرين أو مترددين ، والأموال بين أيديهم كالتراب .

ونحن وحدنا نأمل ، ونأخذ نحن الشمال نجما وبلدنا قلقا وجلدنا أسود . ولمذا ، كان للكثيرين من المصريين أن يتساءلوا : ولماذا كل هذا العناء من جانبنا ؟ أليست بلادنا أحق بهذا الجهد البذول من التفتح فى الغرب المتقطوع ؟

والعجيب فى الموقف ، أنا آخر الخاسرين ، إذا كان فى الأمر خسارة ، وأقل المستفيدين إذا تحققت بعد طول المعاناة فائدة . ونحن نقول إن هذا قدرنا ، وأن علينا التزاما ، وأننا تعهدنا بوضع الفلسطينيين فى أول الطريق المؤدى إلى تقرير مصيرهم ، وإلى آخر هذا الكلام ، الذى بدأ يصبح موضعا للتشكك والتساؤل عن

المكبرين . وهم الحق فى ذلك . فقد فعلت كل ما فى وسعها . حربا كان ذلك أو سلاما . وبذلك الكثير من التضحيات . أرواحا وأموالا . واستطاعت أن تحرز نصرا . ولكنها لا تزال تتحمل بالنيابة حتى الآن برد حقوق الآخرين . الذين يرفضون . ويتهربون بأعيائهم . أليس من العدل والحكمة الآن أن تتوقف . وتعيد حساباتها . وتنحى العواطف جانبا . ويكون أكثر واقعية وإدراكا لمقتضيات الحقيقة ؟

وليست تلك دعوة إلى الحرية . وتزلف الحمل لإسرائيل على العرب . فعمل فى المنطقة ما شاء أن تعمل . وليست أيضا تنكرا للعروبة . ودعوة إلى قرعة . مصر . وتخليها عن زعامتها العربية . وليست كذلك خضعا أمام إسرائيل . وخيبة أمل فى إيفائها عند حدها الذى رسمته الظروف كدليد داهية . ولكنها دعوة إلى أن يتحمل كل طرف ما لابد له من تحمله . حتى لا تتحمل وحدها أوزار الآخرين . على حساب مصالح بلادها ورخاء شعبها وتقدمه . ولو كانت الأطراف الأخرى صادقة فيما تزعمه من حرصها على حل القضية الفلسطينية . فقد كان الباب أمامها مفتوحا ولا يزال . ولكنها جميعا تقف متكوفة الأيدى تتوسل . فإذا كان كسب . فهو لهم دون شكر لنا . وإذا كان هناك فشل . فالعبء على رءوسنا والذنب ذنبنا . وليست هذه عدالة على الإطلاق

والكلام كما أنه موجه إلى الفلسطينيين وإلى العرب عامة . فهو أيضا موجه إلى أمريكا . ان لها المصلحة الأولى فى إنهاء الوضع القلق المضطرب فى هذه المنطقة الهامة بالنسبة إليها . أما نحن – كما قلت – فلن نخسر شيئا . وغاية أن نبقى دائما . وقرى جيوبنا الداخلية . وندعم ونطور قواتنا المسلحة . ثم نعيش فى أمن واستقرار . لمواجهة ما فات . ولمواجهة كل التحديات . وليفعل الآخرون ما يروق لهم . وليتحملوا مواقفهم . وكذلك ما يبدأناه على مدى الثلاثين عاما . ولم نجن بعد ذلك غير الشر والشر والإهانة .

ولا فما الذى نفعله ؟

## رحيل العملاق

وأخيرا رحل العملاق العظيم . انزوشاى نيرو . كما لابد أن يرحل كل من ولدته أمه . ولكن الناس ليسوا سواسية . فمنهم من يرحل فى صمت لا يزيد قراءه . ولا يذكره أحد . ومنهم من تتحدث عنه الملايين بعد رحيله . وتضرب فقد الرحيل كل حساب . ومن هؤلاء كان نيرو

عاش كثيرا من السنين . إلا أنها كثيرة ما فعله فيها . وما فعلته فيه هذه الأعوام . عاشها حداثا وحدثا ومناضلا ورئيس دولة . وعاشها محبوبا ومكروها . من جميع سكان الأرض .

وعاشها يعانى من أصعب ضروب الألم . ويبسم بكل ما فى الدنيا من سعة . ولم يكن كثيرا بغرة شعوره بالعظمة . بل لأنه استطاع أن يثبت عظمته بكل مقياس . فدولته الجديدة التى لا تزيد على عشرين مليونا . أصبحت من أشهر دول العالم . وأكثرها احتراما . ودولته المتعددة الجنسيات واللغات والأديان . أصبحت من أكثر دول العالم وحدة وتماسكا . وهو الشيوعى الذى نرى فى أحضان الحزب الشيوعى السوفيتى . وهو – وحيدا – أمام جبروت طائفة الطغاة فى القرن العشرين . جوزيف ستالين . لم يهتز أعصابه . ولم يفقد توازنه . بل أصر على أن يكون حرا فى بلده . وحرا فى إرادته . ثم استطاع فى أواسط الخمسينات أن يجمع حوله عشرات الدول فى شتى أنحاء الأرض . ويؤسس حيالها غير منحازة إلى موسكو أو واشنطن . فكان ذلك إنجازا عظيما . وإن أصابه الوهن هذه الأيام .

مات نيرو . والناس يتساءلون . ماذا بعده ؟ وما أهل السياسة التى سار عليها سوف يطرأ عليها تغيير ذو شأن . وستظل يوغوسلافيا نيرو حية بعد وفاته . منارة فى طريقها بين الشرق والغرب . محققة لنفسها الإرادة الحرة . والاستقلال الكامل . والرخاء الذى استطاع أن يخلقه رائدها العظيم

كان عملاقا متميزا فى عصر العمالقة الكبار وكانت عظمة إنجازاته الكبرى . ثما تظهر له أية صفات سلبية يتصف بها العمالقة الكبار . فياه النهر الكبير ليست كلها مياها صافية رائقة ناصعة البياض . ولكنه مع ذلك يظل إلى الأبد نهرا كبيرا !

## مشاكلنا الداخلية

بعد بضعة أيام . يحتفل بذكرى مايو . ولا نثير الاحتفال بغير قرارات جديدة تتخذ بها أسلوبا جديدا فى العمل الداخلى . نواجه به ما يؤرقنا من مشكلات .

وقد كثر الحديث عن مشكلاتنا . وتلك علامة طيبة . لأننا لم نعد نخفى الحقائق . ولم يعد يخشى الحديث عما يواجهنا من صعوبات . ولا شك أن المسألة الاقتصادية . وعلى رأسها مشكلة ارتفاع الأسعار . هى أهم ما يشغل البال . ومادمنا نكاشف ونصارح . ولا نعمد إلى الخداع والتضليل والتهويل . فلسوف تتضافر الجهود . حكومية وشعبية لمعالجة هذه المشاكل . والصمود أمامها . والمضى فى طريق الرخاء

والظاهرة الإيجابية التى نلمسها فى الآونة الأخيرة . هى أننا أصبحنا نشعر بأنه من الظلم الفادح أن نلقى بالوزر كله على الحكومة . ولا نلقى بجانب منه على أنفسنا . فزيادة النسل . وكثرة الاستهلاك . وضعف الانتاج . وقلة ساعات العمل الحقيقية . وعطلات الروتين . والتسيب والتحلل وعدم المبالاة . كلها سلبيات تتحمل

■ محمد مزالى

وزارتها وعاداتنا وقيمنا . التى ترسخت فى نفوسنا طوال النظام الشمولى الذى امتد بنا زهاء قرن من الزمان . بجوره ومفاسده وضلالاته التى أدت بنا إلى ما نعانيه الآن . صحيح أننا منذ سنوات بدأنا نتحلل من ذلك كله . وأن لنا حياة انفتاح جديدة وآمنة وتخطيط مدروس بقدر الإمكان . ولكن ليس معنى ذلك أن نتقلب حياتنا فجأة من الانغلاق إلى الانفتاح . ومن التواكل واللامبالاة إلى تحمل المسئولية الكاملة . ومن التراخى فى الإنتاج إلى الانطلاق . ومن الرغبة الملحة فى الاستهلاك . إلى الاقتصاد والادخار والاستثمار

ومن تحصيل الحاصل أن نحاول فى عجالة تمهيد أن نضع الحلول للمشاكل . وأن نقدم الاقتراحات الكفيلة بتحقيق الطفرات . ثم انه ليس من مهمة الكاتب فى العصر الحديث أن يكون حلالا للعقد . بل يكفى أن يحمل فى صدره قلبا مخلصا . وفى يده مفتاحا يثير به التفكير . وعقل المتخصص والعلماء وذوى الخبرة من المتخصصين أن يضعوا الحلول . وعلينا نحن الشعب أن نؤدى دورنا . فى صحوة الضمير .

ولننتظر بضعة أيام . وسوف نرى ماذا تكون بداية العهد الجديد لتحطى المشاكل . بعد أن أصبح لزاما علينا أن ننظر إلى الداخل . لأنه هو الأساس الذين . وليس انتظارنا لوزير يلقى لنا بوزير يجئ . فليس هذا هو التغيير المرتجى

ولا هو بالطبع الجذرى الذى نحول عليه . ان الدولة كلها بسلطاتها الثلاث أو الأربع . وتنظيماتها الحزبية والشعبية . ونقاباتها المهنية والعمالية . وبأفرادها المتشربين فى المدن والقرى . تحتاج كلها إلى هزة عاتية ودفعة قوية وأسلوب جديد فى العمل والانجاز

## محمد مزالى

كما توقعت منذ أسبوعين مضيا . اصبح السيد محمد مزالى وزيرا جديدا لوزراء تونس . وكان يشغل منصب وزير التربية القومية كما تشغل عدة مهام كثيرة أخرى فى الدولة والحزب على السواء . وهو كالطيب بوراقية والهادى نويرة . من أعلى بقعة التنوير . التى ولد فيها معظم أفراد الدوائر الحاكمة فى تونس . شأنها فى ذلك . شأن نكريت فى العراق .

وقد ولد مزالى فى ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٥ . واجتاز مرحلة التعليم الثانوى فى المدرسة الصادقية . ثم رحل إلى باريس . حيث التحق بكلية الآداب ونال إجازة فى الفلسفة . وديبلوم الدراسات العليا فى الآداب .

وبعد عودته من فرنسا . اشتغل مدرسا للفلسفة واللغة العربية فى المدرستين الصادقية والعتونية . ثم فى الجامعة الزيتونية

وفى سنة ١٩٥٥ أسس مجلة . الفكر . وهى مجلة أدبية فكرية مازال يشرف على تحريرها منذ إصدارها حتى اليوم . كما انتخب رئيسا لاتحاد الكتاب التونسيين . وكان مزالى من شباب المغرب الاشتراكى الدستورى النشط منذ استقلال تونس حتى الآن . وهو بجانب اهتمامه بالأدب والفكر والفلسفة والسياسة . له اهتمام كبير بالرياضة البدنية وانتخب عضوا باللجنة الأولمبية الدولية منذ عام ١٩٦٥

والسيد محمد مزالى عدة كتب مؤلفة ومترجمة . وهو يعترف بفضل الغذاء الثقافى والأدبى المصرى عليه . وما أفاده من قراءة المجلات المصرية الأدبية . التى كانت تصدر فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن . وهو وثيق الصلة بكثيرين من أدباء مصر المعاصرين . متتبع لما يصدرونه من كتب وأبحاث ودراسات .

وبعد . هل يستطيع السيد مزالى أن يجد شيئا من الوضع المرفق الذى تعانيه تونس اليوم . بين جارتين تضغطان . ودول عربية أخرى متفرقة لم تستطع أن تقف بجانب تونس المجدى عليا . وان كانت قد اختارتها مقرا لجامعتها المزعومة ؟

١

■